10me Année No. 450

Lundi - 20 - 4 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	عن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٥٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ ربيع ثاني سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة		
٤٥٣	ومن هو « ليوپاردى » ؟	الأستاذ عباس محمود العقاد
٤٥٦	الصوفية	الدكتور عبد الوهاب عزام
٤٥٨	قبل اليوم للشهود	الدكتور زكي مبارك
٤٦١	أحلام	الأستاذ محمد محمد المدني
٤٦٤	وهم شائع	الأستاذ طه الراوي
٤٦٦	المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم	المستشرق « إدورد وليم لين » بقلم الأستاذ عدلي طاهر نور
٤٦٩	شباب الجيل [قصيدة]	الأستاذ حسين الظريفي
٤٦٩	الحرب في البحر	الأستاذ عبد الرحمن البناء
٤٧٠	الصفاء بين الأدباء	الأستاذ توفيق الحكيم
٤٧١	قص الصفحات في الجرائد والمجلات	
٤٧١	من غزل اللوك	الأستاذ حسن القاياتي
٤٧١	حول مقال « لا بد للاسلام من مؤتمر »	الأستاذ عصام الشريف
٤٧٢	التميمي في خضم الجماهير	الأديب السيد جمعة
٤٧٢	من عثرات الأقلام	الأستاذ أحمد صفوان
٤٧٢	« الرسالة الصديق »	الأديب حسين الحسوني

ومن هو ليوپاردي ؟

الأستاذ عباس محمود العقاد

نعم ، ومن هو ليوپاردى ؟

- سؤال كنت أنتظره من كثيرين بعد مقالي السابق عن الشعراء الذين « لهم عالم » من الأوربيين والعرب . وقد سألنيه أكثر من واحد وحق لهم أن يسألوا ؛ لأن ليوپاردى ضعيف الشهرة في البلاد الشرقية ويوشك أن ينسلد القراء الأوربيون على ارتفاع شأنه بين النقاد والمعجبين بالأدب الفحل والأساليب الرصينة والنزعات « الإغريقية » الصادقة في غير اصطناع ولا محاكاة

قلت في مقالي السابق : « إن أبا تمام يجيد في هذا المعنى ويجيد في ذاك ، ولكنه لا يعرض لك العالم كله في حلة من حلاته ، ولا يخرج لك نسخة عالية تقربها إلى النسخ الأخرى التي تستمدها من أمثال ابن الرومي والمتنبي والمعري في الشعر العربي ، وأمثال شكسبير وجيتي وليوپاردى في الآداب الأوربية »

فمن هو ليوپاردى هذا ؟

هو بالإيجاز ثالث الثالوث الأكبر الذي اشتهر بتشاؤم في أوائل القرن التاسع عشر : وهم بيرون الشاعر الإنجليزي ، وشوپنهور الفيلسوف الألماني ، وليوپاردي الشاعر الفيلسوف الإيطالي الذي كان أصدق الثلاثة تشاؤماً وأحقهم جميعاً بالتشاؤم ،

والذي شاء له القدر ـ الرحيم ـ أن يفارق الدنيا كما فارقها زميله يبرون قبل الأربعين ، ولم يشأ له أن يعمر فيها كما عمر الفيلسوف الألماني إلى ما بعد الثمانين

ولد في عصر التشاؤم لأنه عصر الانتزاع من الماضي والشك في الحاضر والتهيب من المستقبل ، وابتلي بكل سبب من أسباب التشاؤم ينغص لذة العيش ويرنق صفو الحياة ، فاجتمعت عليه عراقة النسب مع الفاقة ، واصطلحت عليه الأسقام وضآلة البنية ، ودقة الحس ، وفرط الذكاء ، وخيبة الحب في مقتبل الشباب ، وسآمة البيئة الريفية التي نشأ بينها واضطر إلى البقاء فيها ، وأدركه الموت وهو أصم ونصف أعمى ومريض حرض منذ سنين

ومع هذا أي خولة في الذهن ، وأي مضاء في البديهة ، وأي أمانة للأدب ، وأي صدق في التعبير ؟

لكأنما كانت ملكاته الأدبية عوضاً معادلاً لمصائبه الجسدية ، وكأنما خلق بنصيب عشرين في الذكاء وفي البلاء على حد سواء

تعلم في صباه ست لغات بغير معلم ، وهي الإغريقية والعبرية والفرنسية والانجليزية والألمانية والإسبانية ، فضلاً عن اللاتينية !

والمهم مأثورات الإغريق واللاتين جميعاً وأشربها إشراباً حتى أصبح وكأنه واحد من أدباء يونان الأقدمين

ولما ضعف بصره طفق يشكو في رسائله إلى أصدقائه ويقول : لا أقرأ اليوم إلا ست ساعات في النهار !

وجمع المسكين حتى في هذا فنهى عن القراءة وعن الإصغاء !

ووجب عليه أن ينفق أيامه في قرية لا يشغله فيها شاغل غير التفكير الذي يحرق رأسه وجسده ويضنيه ولا يريحه . ثم ذهب إلى روما وهو مطبوع على الجد ومعاشرة العقول الكبيرة فضاق بها ذرعاً واجتواها أشد اجتواء ، وعاب على أهلها أنهم قوم هازلون لا يقرنهم بأهل قريته الذين يعرفون الجد وإن كانوا جهلاء لا يعرفون

صورته التي صور الدنيا عليها أشبه شيء بالرسم المظلل الذي لا لون فيه غير السواد ، ولكنها مع سواد لونها صادقة في كل شيء ما عدا التلوين : صادقة في خطوطها ومساقاتها وأشباهها وكل لمحة من ملامحها ، ولا خداع في قل شيء منها على الإطلاق لتسويغ رأي أو لمجاراة عقيدة . فهي الأمانة التي لا أمانة بعدها في الشعور وفي الأداء ، وهي النحولة التي تعلو به فوق مصائبه وأشجانه وبلاياه ، كأنه لا يتشاءم لأنه محروم من رجاء ، بل لأنه يرثي للدنيا وما فيها من رجاء

لهذا العقل المتوهج عذره إذ رأى الحياة شراً ورأى أن الموت ختام المأساة الحياة لا شر فيه . أو كما قال : « إن الموت ليس بشر لأنه ينجو بنا من جميع الشرور . وإذا أخذ من الإنسان شيئاً حسناً فهو كذلك يأخذ منه الرغبة فيه . إنما الشر الأكبر هو الشيخوخة التي تحرمه كل سرور وتبقي له اشتهاء ما حرمته ، وتوصب الماء العياء ؛ ومع هذا يفرق الناس من الموت ويتوقون إلى الشيخوخة ! »

ولهذا القلب البائس عذره إذ رأى كل حسن في الدنيا قريناً للموت زميلاً للفناء . وأي شيء أبعد عن هذه المزاملة من « الموضة » أو « الجديلة » التي يلهج بها الحسان وغير الحسان ؟ أي شيء فيه من مخالفة الموت ما في دكاكين الزينة التي تتجدد فصلاً بعد فصل وموسماً بعد موسم ؟

لكن ليوباردي يعقد المحاورة بين المنية والجديلة فإذا هما شقيقتان وزميلتان . لأن الجديلة كالمنية موكلة بالقضاء على كل موجود وتقبيح كل حسن بعد استحسانه ، وتغيير كل عادة ألفتها الأبصار والأسماع ، وهي في سلطانها نافذة لا هوادة في أمرها ، ولا مناقشة لأحكامها ، ولا حيلة معها غير الخضوع والتسليم

تنادي الجديلة أختها : يا منية ! يا منية ! فلا تلتفت إليها المنية

ثم تعيد النداء فتجيبها متبرمة معرضة : إليك عني . إني آتية إليك لا محالة ، ولكن حين لا تريدينني ولا تهتفين باسمي . فتفهمها الجديلة أنها أخت شقيقة وليست « بعيلة » أو داعية أو فريسة

وتتفاهم الأختان بعد حوار كأمتع ما يكون الحوار ، ثم تتداعيان إلى السباق وكسب الجائزة في مضمار الهدم والتبديل . فتقول المنية لأختها : ساعديني !

وتقول الجديلة لأختها : لقد ساعدتك حتى الآن أكبر مساعدة في مقدوري ، وتركت عادة الموت بغير تبديل ، وقد غيرت فيما عداها جميع العادات !

وتشفق الأخت الكبيرة أن يجيء اليوم الذي تبطل فيه هذه العادة كما بطلت عادات

فلا تدعها أختها الصغيرة على إشفاقها وحذرها ، بل تجاذبها

الطمأنينة إلى ضلوعها التي لا قلب فيها ، وتشرح لها كيف تساعدها بإرهاق الأبدان وتسميم العقول وتعويد الجوارح ما يضنى ويسقم ويسلب الغبطة بالحياة . بل تقول لها إنها جعلت من « الموضة » في العصر الحديث أن يعيش الناس لحاضرهم ولا يحفلوا بعد موتهم بالذكر الحسن والخلود المجيد ، وقد كان كلاهما حظاً مسلوباً من المنية وقسما تستبقيه الحياة بعد الفناء . فإذا خسرت الحياة هذا القسم النفيس فذلك كسب عظيم للمنية ، وتلك هي الهدية التي تبذلها الأخت الصغيرة البرة للأخت الكبيرة التي لا تحفظ الجميل . وعلى ذلك تتفق الأختان

* * *

والشاعر المتشائم محاورات كثيرة على هذا النحو الطريف ، يعجب القارئ للعبقرية التي صبغتها بصبغة الفن الجميل وهي غارقة في الحزن والألم والسآمة ، وخلقت منها للعقول متعة باقية وهي تنعى على كل متعة وكل بقاء

* * *

ولقد كانت قراءة ليوباردي وزميليه في مقدمة القراءات المحبوبة عندي إلى ما قبل الثلاثين . ثم بقيت لها قيمتها الفنية الأدبية وبطل الولع بها والاشتياق إليها . فهي اليوم عندي في مقام التقدير والذكرى ، وليست في مقام الاصطفاء والمفاجأة لم هذا ؟

لسبب يخيل إلى بعض الناس أنه مناقض للمعقول والمنظور ، وهو أن الشباب أميل إلى التشاؤم من الكهولة والشيخوخة ، وأقرب إلى الطعن في محاسن الحياة والجهل بتلك المحاسن وهي بين يديه

ولا مناقضة للمعقول في هذا بل المناقض للمعقول أن يكون الأمر على خلاف هذا

فالشاب يخرج من بيته إلى معترك الحياة فيصطدم بالشدائد التي لم يعرفها بين الأب والأم والإخوان والأقربين ، ويرى أخلاقاً غير ما عهد وألف وانتظر : يرى أناساً يتزعون ما في يده وقد كان يرى أناساً يعطونه ما في أيديهم ، ويعلم أن نجاحه يغيظ قوماً يعاشرهم ويعاشرونه وقد كان يعلم أن نجاحه فرحة القلوب وقرة العيون ، ويرجو كثيراً ولا يظفر بغير القليل . والمرء إذا انتظر مائة ووصل إلى عشرين ناقم ساخط متبرم ، ولكنه إذا انتظر خمسة ووصل إلى عشرة يشكر ويرضى ويستريح

هذا سبب من أسباب الشكاية والتشاؤم في الشباب يزول أو يضعف كلما تقدمت به السن وجاوز أيام الدلال على الحياة

وسبب آخر أن الشباب يلتهم ما يتناوله فلا يفرق بين الطعام الفاخر والطعام المزهود فيه ، كالمعدة القوية التي تستخرج الغذاء من كل طعام ، أو كالمعدة الجائعة يتساوى لديها الخبز القفار والمائدة المنتقاة

فهو يظفر بالمتعة ولا يدري ما هي المتعة ولا يقيس الفارق بينها وبين غيرها بمقياس صحيح

وهذا سبب من أسباب الشكاية يضاف إلى ما تقدم فيفرى بالتشاؤم في أوائل الحياة

وسبب غير هذا وذاك أن طول العشرة داع من دواعي الألفة والمودة وإن تباينت المشارب في أول اتصال . فإذا كانت الحياة قرينة ناشزة والشاب قريناً غضوباً في بداية الزواج فقد تطول العشرة فيقل النشوز ويقل النضب ، ويأخذ كل من الزوجين صاحبه على علاته ، ويصل بالإرضاء والإغضاء إلى تسويغ المكروه وقبول المرفوض واستكثار القليل

وسبب غير أولئك جميعاً أن تقديرك الشيء وأنت تحس أنك فاقده عما قريب غير تقديرك إياه وهو في قبضة يديك غير مهدد بضياع .

فإذا اجتمعت هذه الأسباب لم يكن عجيباً أن يقل تشاؤم الشيخوخة ويكثر تشاؤم الشباب

ولهذا جنحت إلى ألوان التشاؤم كله فيما دون الثلاثين ، وأحببت ذكراهم الآن كما يحب الإنسان ذكرى شبابه الباكر ، وإن يرى بعد غير ما كان يراه

تلك لمحة إلى ليوباردي

بل تلك إشارة إلى صورة العالم الحافل المرسوم بالظلال والظلمات بريشة ذلك العبقري المحروم ، الذي لم يحرم الدنيا كما حرمته ، متعة لب ونفثة سلوى ورحمة عزاء

عباس محمود العقاد